

حضر موت و ساطانها

قطر كبير من الاقطار العربية واقع في اقصى جزيرة العرب من جهتها الجنوبية بين درجتى ٤٧ ، ٥٣ : طول شرقى ، ودرجتى ١٥ ، ١٩ عرض شمالى ، تمدها شمالا الاحقاف و بادية الدهناء وجنوبا خليج عدن وبحر عمان وغربا اليمن وشرقا سلطنة مسكت ، ويبلغ طول سواحلها من الشرق الى الغرب ١٥٠٠ كيلومترا اما عرضها من الجنوب الى الشمال فلا يزيد على عشرين كيلومترا . وهذا القطر جبلى تحده سلسلتان من الجبال تأتيان من بلاد اليمن يفصلهما واد يشقه نهر يمتد الى الشرق الى الغرب ثم ينعطف جنوبا ويصب في بحر عمان عند قرية صحوت . وترتفع الجبال في الجهة الشرقية ثم تنحدر في اقصى الغرب الى تلال رمايه وفي الوسط يتكون منها نجد مرتفع ويبلغ ارتفاع انحلا قمها ٢٤٠٠ مترا و سطوحها يكاد يكون مستويا وهي جرداء لا يرى فيها الا قليلا من اشجار الصبر وشجرات شوكية وبعض اشجار الصفصاف . اما الوادى فارضه خصبة عامرة بفضل النهر الكبير وما يصب فيه من نهيرات اخرى كثيرة العدد . ويزرع على ضفافها القمح والذرة والتين والعنب والتين والنبق والبسلة والسهم والدخان .

اقليم حضر موت جاف صحى صيفه حار جدا وشتاؤه قارس جدا والمطر قليل فوق الجبال وكثير نوعا على السواحل . ويوجد الجليد في انحلا الجبال حتى في الصيف . وتغل الارض هناك ثلاث مرات في السنة وهي تروى بطرق صناعية بما يجمع من المياه في الآبار والسدود . لم يكتب مؤرخو العرب كثيرا عن حضر موت لوجودها في العدوة القصوى من بادية الدهناء ولعدم اشتراكها في النزاع على الخلافة والملك ولذلك فليس لدينا اخبار صحيحة عن تلك البلاد وكل ما نعلمه عنها من قبيل القصص . وحوادثها تنسب الى حضر موت ابن يعرب ابن قحطان وان هودا وصالحا بعثا الى اعلاها ولا يزال قبريهما هناك الى الآن ثم سكنها قوم يقال لهم الصدف ، وهاجر اليها بعد ذلك قوم من كندة اتوا عن طريق البحرين ويقول مؤرخو اليونان ان حضر موت كانت اعظم مما هي الان وكان لها عاصمة تسمى سباتا وكان يجلب

منها بخور الآلهة الذي لا تزال شجرته تنمو فيها الى الآن ، واختلفوا في سبب تسميتها فالعرب يقولون انها مركبة من كلمتين حضر مقابل البادية وموت ، ومعناه بلاد الموت ، لفساد اقليمها وهذا التعليل لا يطابق الحقيقة لان اقليمها صحى . اما اليونانيون والعبرانيون فيقولون ان دخان شجرة البخور قاتل وبهذا سميت .

والذى نعلمه من الاخبار الصحيحة عن هذه البلاد ان الاشعث بن قيس سيد الحضارمة وفد على النبي في رهط من قومه فاسلم ثم رجع ونشر الاسلام في بلده لكنه ارتد في خلافة ابي بكر ثم آب . وان قوما من الحضارمة ابلوا بلاء عظيما في الفتوحات الاسلامية ونبغ منهم بعض الشعراء الجيدين الشعر ثم ينقطع عنا اخبار هذه البلاد زمنا ويقال لنا بعد ذلك ان الشيخ أحمد بن عيسى من الطبقة السابعة من أولاد الحسين ابن علي وفد على حضرة موت من البصرة منذ عدة قرون ومعه ثمانون شخصا من آل بيته فاستوطن حضرة موت وتناسلت فيها ذريته فكثر عددهم وعظم مقامهم وكونوا لانفسهم صنفا ممتازا يعرف الآن (بالسادة)

ويبلغ عدد سكان حضرة موت الآن بما يتبعها من بلاد مهره والشحر مليونا ونصف تقريبا ينقسمون الى ثلاث صنوف ، قبائل وسادة ورعية . اما القبائل فهم القادة والزعماء والحكام وعددهم كثير ويلقب زعيم القبيلة بالمتقدم أو السلطان ويسكن حصنا محاطا بالابراج يقوم على حراسته طائفة من رجال قبيلته ويعتبر حاكما على أهل المدن القريبة منه من التجار والصناع يدينون له بالطاعة ويدفعون له اتاوات عن متاجرهم وصنائعهم في مقابل حمايته .

أما السادة فهم ذرية الشيخ أحمد بن عيسى المتقدم ذكره وهم معظمون محترمون معافون من الضرائب يسرون في جميع البلاد آمنين مطمئنين لا يحملون سلاحا ويقومون بوظيفة الارشاد والتعليم الدينى ويعيشون من استغلال مزارع يستعملون فيها عبيداً من زنوج افريقية ومن الصومال ويلقب كل منهم بلقب (حبيب) و(منسب) . والرعية هم سكان المدن والقرى المشتغلون بالتجارة والصناعة وهم قوم مجتهدون نشطون يحملون حاصلات بلادهم على سفنهم الى الهند والبحر الاحمر وسواحل افريقية الشرقية ويجلبون من هناك ما يحتاجون اليه ويستغلون

بصناعة السفن ولكنهم هم فقط الذين يدفعون الضرائب في البلاد ولكل مقدم وكيل في المدينة يسمى (ابو) يشرف على تمصيل ضرائبه ويبيع حاصلاته بواسطة الدالين الذين يسميهم الاهالي (كلاب السوق) أما الزراعة والجندي (وهي ليست إجبارية) فهي في يد القبائل .

وعلى العموم فاهل حضر موت رجال جد وعمل ذو وصبر على المكاره وتحمل للمشاق واذا ضاقت باحدهم الحال ترك بلاده مهاجراً الى الهند او الى جاوه وصوماتره فيشتغل بالتجارة او الملاحة أو الحمل حتى يثرى فيرجع الى بلاده يقضى بقية عمره في راحة وهناء . ولهم الآن جالية كبيرة في جاوه وفي الهند ويذهب أولاد زعماء القبائل الى الهند فيلتحقون بخدمة نخامة النظام سلطان حيدر آباد فيكرم مشواهم ويستخدمهم كضباط في جيشه على الجنود من أبناء بلادهم ويرقيهم الى المراتب العالية في الجيش . وهم رضيو الاخلاق كرام النفوس متعصبون في دينهم ليس في بلادهم يهودى ولا نصرانى وأثر العلم ضل بينهم وقبائلهم لا تسكن الخيام بل الاكواخ والمغارات وأهل الحضر يسكنون بيوتا مرتفعة البنيان ويتكلمون بلغة عربية تقرب من لغة أهل اليمن الا في اقصى الشرق فيتكلمون لسانا يسمى العقيلي . وأعظم القبائل نفوذا الآن قبيلة « كيتى » حتى من احياء يافع جاءت الى هناك من اليمن وهي أكبر القبائل نفوذا وفي يدها أهم موانى البلاد ومدنها وهي الشحر ومكلا من الموانى وهورا وشبام وحاجرين من مدن الداخل وإلى هذه القبيلة ينتسب عظمة السلطان صالح بن عوض نزيل مصر الان وهو من أوسع السلاطين نفوذا وأعظمها خطراً تعلم تعلما راقيا في الهند وعمل على ادخال النظم الحديثة والتعليم في منطقته وتنظيم الضرائب والتسوية فيها بين الاهالى وهو على صلاة سياسية مع الحكومة الانجليزية وقد اعترفت الاخيرة بسلطنته . وبما ان بلاد حضر موت من البلاد التى تجمعها بمصر روابط عديدة فانتا نرحب بعظمة سلطانها في بلادنا ونتمنى له لليب المقام كما نرجو أن يجد في مصر ما يليق بمركزه كزعيم شرق اسلامى كبير من الحفاوة والاحلال